توظيف البيئة الطبيعية في رواية "الجمجمة لم تكن رأساَ فارغاَ" لطالب المعموري

مدرس نبيل شاكر عبد الحسين

جامعة الفرات الأوسط التقنية /المعهد التقني بابل

Nabil Shaker Abdul Hussein
assistant teacher
Al-Furat Al-Awsat Technical University
Iraq \ Babel \ Hilla \ 60th Street
Email: Nabelarabic82@gmail.com
009647812132255Mobile:

الملخصّ :

اهتم البحث في تحديد البيئة الطبيعية في رواية (الجمجمة لم تكن رأساَ فارغاَ) لما لهذه القرية من أهمية. تسمى الجمجمة وهي احدى القرى محافظة بابل و تشغل موقع جغرافي مهم منها، وتقع على ضفة شط الحلة وهو فرع من نهر الفرات حيث تغفو بساتين النخيل ومزارع الحمضيات والرمان بين القرية والنهر وهي من ضمن الرقعة الجغرافية لمدينة بابل الأثرية فلمسة البناء الأثري مطرز على أبواب وواجهات بيوتها. وفيها من المزارات الدينية مرقد الأمام (عمران بن علي بن أبي طالب) (عليه السلام) ومرقد (ايمن وأمين) أولاد الأمام الكاظم وهذه جوانب كثيرة تثري البحث بمواضيع تحقق هدف الدراسة

Conclusion:

The research was interested in determining the natural environment in the novel (the skull was not an empty head) because of this village, which is called the skull, one of the villages in the province of Babylon, which occupies an important geographical location from it that it is on the bank of the Hilla Beach, a branch of the Euphrates River, where palm groves, citrus and pomegranate plantations fall asleep between the village and the river, which is within the geographical area of the archaeological city of Babylon, the touch of the archaeological construction embroidered on the doors and facades of its homes. Among the religious shrines is

the shrine of Imam (Imran bin Ali bin Abi Talib) (peace be upon him) and numbered (Ayman and Amin) children of the mother

الكلمات الافتتاحية :

الجمجمة . البيئة . الطبيعة الخلابة

الاشكالية :

1–تحمل الرواية عنوان لأسم قرية وهذه القرية تمتاز بجمال طبيعتها لقربها من النهر

2–هذا الجانب من الدراسة لم يطبق على الرواية بالرغم من احتواءها على نصوص كثيرة تهتم بالطبيعة

3–البيئة والطبيعة من المواضيع التي تدعو للجمال والنص الأدبي بطبيعته نص يهتم بوصف الجمال

أسباب اختيار الموضوع

إنَّ الموضوع ينقسم إلى قسمين يهتم الأول بالبيئة والطبيعة وهي من المواضيع المدروسة سابقًا لكن القسم الثاني هو الرواية (الجمجمة لم تكن رأسا فارغا) لطالب المعموري هو نصًا جديدًا مهمًا يجب إخضاعه للدراسات النقدية الأدبية كون الكاتب والنص جديران في أن ندرسهما؛ فالموضوع جديد لان النص الروائي لم يدرس فيه هذا الجانب من قبل الباحثين بالرغم من غناء النص الروائي بكثير من الجوانب الأدبية التي سأترك للباحثين حرية الاختيار والدراسة فيها.

المقدمة

موضوع "البيئة من المواضيع المهمة التي لا يكاد عمل يخلو منها لأنها هي من اهم العناصر التي تشتغل في العمل السردي في تقترن في الصورة وهي تشكل الفضاء الخارجي في السرد الأدبي وهي من العناصر المؤثرة تأثيرا كبيرا على طبيعة وأحداث الرواية أو العمل الأدبي عموما، عنصر البيئة الذي يخلق الفنّ ويتبلور في أجوائه، وهو لا يقل أهمية عن عنصر الحبكة وعنصر الحدث والشخصيات في الرواية أو القصّة .

في هذا البحث سنطلّ إطلالة سريعة على عنصر البيئة، لنتبين ماهيته ووظيفته وأنواعه. ضمن النص المختار وهو رواية (الجمجمة لم تكن رأساَ فارغاَ) للقاص والناقد طالب

عمران المعموري؛ سوف ندرس البيئة ونبحث عن أنواعها الاجتماعية والمحلية والطبيعية في الرواية المختارة وتجلياتها في كل نوع منها وأدى تأثيره على النص وما الدلالة التي يحملها النص به من جهة وما القصدية منها من وجهة نظر الكاتب من جهة أخرى؛ سنتناول

دائماً ما يعبر الروائي والقاص عما حولهم من أحداث وشخصيات ، يعبرون عن الحزن والفرح يعبرون عن الحب والكراهية عن الشجاعة عن الروح الوطنية ، كان دائمًا" الشعراء العرب أو الشعراء الغير العرب يتغنون بالطبيعة الخلابة التي تحيط بهم، فمنهم من تغنى بالحقول الواسعة ومنهم نظم القصائد في الصحراء والجبال وغيرها من الأمور على حسب كل بلد وعلى حسب كل طبيعة. والنص السردي اهتم بما اهتم الشعر به من مواضيع .

المبحث الأول : تعريف البيئة

تعد "الرواية من اهم أنواع الأدب لشمولها العلوم كلها واهتمت بجميع المواضيع ونها البيئة والطبيعة فالبيئة من وجهة نظرنا هي الحاضنة التي تجري بها الأحداث وهي من تؤثر بها وهي الفضاء والبيئة مقترنة بالمكان فالطبيعة هي مكان ." عنصر البيئة يعني حقيقة الرواية الزمانية والمكانية، أي كل ما يتصل بوسطها الطبيعي وبأخلاق الشخصيات وشمائلهم وأساليبهم في الحياة"[1]

ويمكن تعريفه أيضاً بأنه "مجموعة القوى والعوامل الثابتة والطارئة التي تحيط بالفرد وتؤثر في تصرفاته في الحياة وتوجهها وجهة معينة"[2] ويطلق على البيئة مسميات أخرى مثل (المجال) أو (الجو العام)[3].

وظيفة البيئة :

إن الرواية ليست معزولة عن مجالها الطبيعي والاجتماعي، ولا وجود لأفراد معزولين في المجتمع، "وإنما يستلزم لتصوير موقفهم موضوعياً أن ينظر إليهم مرتبطين أشد الارتباط بمجتمع خاص في مدة معينة وبيئة طبيعية خاصة، وإلا جاءت الرواية متكلفة"[4]

ويمكن "اعتبار زمان ومكان الحدث أسلوباً فنياً يستعمله القاص للوصول إلى تقريب العمل القصصي إلى أذهان القرّاء بجعله ممكناً أو محتملاً، وهذا يعني "إن وظيفة الزمان والمكان في العمل القصصي هو: خلق الوهم لدى القارئ بأن ما يقرأه قريب إلى الواقع، أو جزء منه"[5]

أنواع البيئة

من المفترض، بل من المفروغ منه أن مجال الأحداث هو المسوغ للقيم الاجتماعية والحيوية التي تتحرك فيها الشخصيات، "وكل عصر في كل بلد له حالاته التي تساعد على تنمية نوع خاص من القيم أو تؤدي إلى القضاء عليها وإقامة قيم أخرى"[6] لذلك تتنوع البيئات تبعاً لقيم وأخلاق وعادات الوسط الذي تولد فيه الرواية، ومن تلك البيئات:

- البيئة المحلية
- البيئة الاجتماعية
- البيئة الطبيعية

ففي اللون المحلي يُعنى المؤلفون بعكس أثر البيئة الطبيعية التي يحيون فيها، في نفوسهم وفي تكوين أذواقهم، وقد يختص بعضهم ببيئات معينة أو أنواع خاصة من الحياة الاجتماعية، كالبيئة البحرية أو حياة الجندية أو حياة المدن الصناعية أو الأوساط التجارية"[7] وما أشبه ذلك.

المبحث الثاني : تجليات البيئة في الرواية

البيئة الاجتماعية :

إن البيئة الاجتماعية تكاد تكون ممتزجة البيئة المحلية اهتمت بالعادات والتقاليد التي كانت تعيشها القرية نرى الكاتب أشار إلى البيئة الاجتماعية التي تتصف بها القرية

"حافظت على تماسكها الاجتماعي والعلاقات الحميمة بين أبنائها الذين يشتركون في النسب والمصاهرة، القرابة والجيران"[8]

كشف الكاتب عن النسيج الاجتماعي الذي يربط أبناء القرية ببعض وكأنهم بيتاً كبيراً واحداً فالعلاقات التي تجمعهم من مصاهرة وقرابة وانتماء للعشيرة وأيضا امتازت القرية بصلة الجيران فهي من اقوى العلاقات فانهم يد بيد ضد أي شخص اجنبي وهو يطلقون على انفسهم أولاد عمران نسبة إلى الأمام عمران وكأنهم أخوة في الدم . لذلك جاء التفسير لعنوان الرواية في داخل النص الروائي "الجمجمة ...لم تكن رأسا فارغا بل هي قريةَ مليئةَ بالحياة ، يفوح ماضيها وبتاريخها العبق وموقعها الجميل ، ذات عادات وتقاليد وحكاياتها الشعبية وأساطيرها ، عشقها وفنها ، وأمثالها الجميلة "[9]

ووصف الكاتب بيوتات القرية وكأنه يرسل للمتلقي مدى أصالة القرية وما لها من عمق تاريخي قديم وهذا ما نجده من خلال بناء البيوت من أدوات بسيطة "معظم بيوتها قديماً بنيت بالحجارة والطين والنورة سقوفها من جذوع النخيل والسعف من طابق واحد باستثناء ثلاثة أو أربعة بيوت كانت بطابقين واجهته الأمامية من الخشب فيه نقوش (شناشيل) وتكثر فيها الشبابيك والأقواس"[10] بيوت القرية في القديم تم بناءها من الحجارة والطين والمادة التي استخدمت في بناء المدينة الأثرية وهي مادة النورة . كانت سقوفها من جذوع النخيل وسعفها تتكون البيوت من طابق واحد وتكاد تتشابه في تقسيمها للغرف المعيشة باستثناء ثلاثة أو أربعة بيوت تتكون من طابقين وهذه صفة مشتركة بين أبناء القرية وترسم لنا البيئة البسيطة التي كانوا يعيشون فيها سواية حتى بارتفاع سطوح البيوت .

لم يغيب عن ذهن الكاتب وهو يرسم بفرشاة كلماته أن يشير إلى الموقع الجغرافي للقرية "لم تبتعد عن مركز المدينة ألا بضع فراسخ ،أتاح لهم القرب من مدينة بابل الأثرية حيث اختلاطهم بالسواح الأجانب ، أتقن بعضهم اللغة الإنكليزية وهم لا يعرفون القراءة والكتابة منهم من اصبح خبيرا في الأثار وله دراية بالرقم الطينية ، ويعرف بين الحقيقي والمزور وعمل بعضهم في حملات التنقيب مع الألمان والإنجليز بما تحويه هذه المنطقة جماجم الإنسان القديم وعظامه ،قطع خزفية ، أختام أسطوانية وعملات نقدية لمختلف العصور البابلية"[11] ،تم تحديد الموقع لقرية الجمجمة ومدى قربها للمدينة وهذا ما وفر لهم الوقت في بيع نتاجهم من المحاصيل الزراعية والحيوانية وبيعها في أسواق مدينة الحلة وهذا يعد مورد رئيسي للقرية من جهة وخلق علاقات مع تجار مدينة الحلة فكانت القرية من اهم القرى المصدرة للمواد الإنتاجية. وامتازت بموقها القريب من المدينة الأثرية بابل مما فتح لأبناء القرية للعمل بها وأيضا نتيجة هذا القرب جعل أبناء القرية يتمتعون بفراسة قوية في قراءة الألواح الطينية الأثرية مما جعلهم ممن يقودون حملات التنقيب التي نظمت من أجل تنقيب المواقع الأثرية في بابل. وهذا جعلهم يحتكون بالأجانب مما أدى بدوره الى تعلمهم اللغة الإنكليزية بالرغم من جهلهم بالقراءة والكتابة. بإشارة ثانية إلى البيئة الاجتماعية للقرية فأنتقل الكاتب إلى المقاهي ويصفها ويجعل الحاج (عبد نجم) مدخلا له" لكني سمعت ذات مره من الحاج (عبد نجم) وهو رجل كبير السن وكان بصحبتي صديقي (أبو حسن) بعد أن القينا عليه السلام جالساً في مقهى الحاج لطيف وهو يغص بالجالسين ورائحة الشاي النفاذة طلب الينا الشاي بينما تتعالى أصوات الجالسين والمنهمكة بألعاب (الدومينو) وآخرين يلعبون (الطاولة) صوت المذياع يصدح (لا خبر –لا جفية –لا حامض حلو لا شربت) للمطرب (فاضل عواد)"[12] كانت المقاهي هي

ملتقى للشخصيات الكبيرة والمثقفة فمقهى الحاج لطيف الذي يتوسط القرية هو من المقاهي الشعبية الوحيدة في القرية فكان يجتمع بها كبار ومثقفي القرية منهم من يشارك بالنقاشات الثقافية والسياسية ومنهم من يلعب الدومينو ومنهم من يشرب الشاي الذي اشتهر الحاج لطيف بإعداده أصوات تتعالى بين خسارة وربح في الألعاب وأصوات أخرى بسبب النقاشات الحادة الناتجة عن اختلاف وجهات النظر ومعهم صوت المذياع .

ومن صور البيئة الاجتماعية قد سلط عليها الضوء في الرواية في قوله :"كان هو العصر حين خرج هاشم من بيتهم العتيق بعدما ضجر من المكوث ...وهو بيت اهله ،أحد اقدم البيوت في القرية سقوفه من جذوع النخيل بناء ذو الأسيجة العريضة وأبوابه العالية وشبابيكه المقوسة والتي لم تصبغ بعناية ،كان يضع بعض الكتب الممنوعة في تلك الأقواس وقد أخفاها بقطعة من السجاد والتي رسمت عليها لوحة تعبر عن حالة الترف التي يعيشها الخلفاء في زمن الدولة العباسية متكأ على وسادة مع نديمة له تسقيه شرابا وبقربه قرد تزينه قلادة"[13]. فكان للوصف الذي استخدمه الكاتب في كشف الغطاء عن البيوتات القديمة في ذلك الوقت الموجودة في القرية هو انعكاس عن الواقع الاجتماعي حيث كانت التفاصيل التي اهتم بها الكاتب من كيفية بناء الدار وما المواد التي استخدمت هي كفيلة بالكشف عن البعد الاجتماعي في تلك المدة؛ حيث أشار إلى السجادة المعلقة على الحائط التي تحمل الترف الذي عاشه الخلفاء العباسيون وكانه يقول نحن امتداد لتلك الخلافة لكن هنالك فارق كبير بين بيئة الخلافة والبيئة الاجتماعية التي كانت تعيشها القرية فاهتم الكاتب بتفاصيل منها تقسيم الدار أو البيت وعدد الغرف به وماهي طبيعة كل غرفة فهناك "غرفتان ومضيف كبير (طارمة) بثلاث أعمدة وقد علق على احدهما كف من الخزف الأزرق في وسطها عين عن الحسد وأسفله طلسم مرسوم على ورق من أرقام وحروف النبي سليمان في احدى زوايا حوش الدار (تنور طين) الذي لطالما أكلوا خبزاً طازجاً من تحت أيدي أمهم ملتفين حولها وهي تسجره، كانت العصافير تضج على أغصان السدرة ، تاركة مخلفاتها (الذروق) وريش على الأرض"[14]؛ لكل بيت غرفتان تكون الأولى للاب والأم والثانية للأولاد. وهناك مضيف كبير حيث اهتم أبناء القرية بغرفة المضيف واعتمدوا على أن تكون كبيرة وهذه دلالة على استقبالهم لكثير من الضيوف والاهتمام براحتهم وهذه من شيم الكرم، والجزء الأخر من الدار هو الطارمة أو مكان يسمى بالحوش مطرزة جدرانه بالطلاسم ولم ينسى تنور الطين في احدى الزوايا الذي لطالما التف حوله الأولاد عندما كانت الأم تحضر الخبز الطازج.

ولم ينسى الكاتب النساء ومالهن من عادات اجتماعية "نساء يضعن الشموع في الماء النهر يطلبن (المراد) ينتظرن غائبا يعود فكلما سمعن معركة نشبت على الحدود هرعن إلى الشاطئ أو إلى ضريح الأمام يتوسلن ويندرن النذور وعادات ومعتقدات أخرى كانت النساء يعتقدن بها (حجاة الدرب) وهي إن المرأة التي تنتظر غائبا زوجا كان أو أخا أو ابناَ تخرج عند الغروب تجلس القرفصاء وتلتف بعباءتها في رأس الزقاق ترمي الحجارة على قارعة الطريق وتستمع إلى كلام الذاهبين والعائدين من داخل القرية وتسمع بعض المفردات التي تعبر عن بشارة عودة أو الرجوع السريع تأوي ذلك الكلام"[15].

البيئة الطبيعية:

أجاد الكاتب في وصف القرية وطبيعتها في اكثر من مكان في النص الروائي الغني فأشار "القرية تحاط بأشجار النخيل والتي تنتهي عند نهر (الحلة) الملتوي كثعبان طويل يخترق النخيل الذي يشطرها إلى نصفين ذلك النهر الذي طالما تعنى به الشعراء الحليين"[16]، وصف كاتبنا طبيعة القرية وبدأ بأشجار النخيل وكيف تحيط النخيل بالقرية وهذا ما أعطاها طابع جمالي وأضاف إلى القرية صورة جميلة أخرى فالانعكاس الصوري جاء بدلالة ان القرية تحاط بالنخيل فهي مشهورة بإنتاج التمور وهذا كلة بسبب النهر الملتوي وهو شط الحلة انتقل الكاتب من قرية الجمجمة إلى مدينة الحلة لان المدينة هي امتداد للقرية فالنهر هو يخترق كلتاهما فيشق النهر الحلة إلى صوبين الكبير والصغير وتكاد البيئتين الطبيعيتين للقرية والمدنية تتشابه إلى حد كبير.

ووصف الكاتب القرية بأنها تشبه بجغرافيتها المدينة إلى حد كبير فهي تحاط بسور وتحتوي على أبواب ويحرسها الحراس " القرية قديماَ كانت محاطة بسور طيني عالِ يحيط فيه أربعة أبراج للمراقبة تسمى (المفتول) وقد تعرض أحد الأبراج للقصف من قبل القوات العسكرية (الإنكليز) رداَ على تعرض مجموعة من أبناء القرية على رتل عسكري كان متوجهاَ من مدينة الحلة إلى بغداد بالأسلحة التركية بنادق (مكنزيه) استشهد فيها العديد وإصابة عدد بجروح من الحرس"[17]؛ وهنا وصف الكاتب القرية وما تحتوي من أبراج مراقبة وكأنها ثكنة عسكرية واستشهد بحادثة لتوثيق ما جاء به من وصف دقيق لجغرافية المكان الخاص بالقرية وهس حادثة قصف احد الأبراج التي كانت تحمي القرية من قبلا القوات الإنكليزية "للقرية مدخلان من الأمام يسمى (باب السور) والباب الآخر (الشطانية) لقربها من الشاطئ وفي وسطها شارع يسمى (العجد) كما يسمونه اهل المدينة (العكد) يتفرغ إلى أزقة صغيرة (المجاز) يحميها حراس من أهل القرية يطلقون عليهم

(الوحاحيش) كاظم حمادي، عطية عباس ،عبيس حمادي ،جواد شاكر ،طاهر كتاب" وانتقل إلى البيئة الجغرافية التي يمكن أن نعدها من البيئات الطبيعية حيث تم تصوير لمداخل القرية ومهما باب السور المكان الذي موجود لحد هذه اللحظة الذي هو يعد مدخل القرية في الماضي هو نفسه مدخل القرية في الحاضر بالرغم من تهدمه وامتازت القرية باب ثاني مطل على النهر قرب شاطئ نهر الحلة يسمى بالشطانية لأنها مطلة على الشاطئ وهو أيضا تهدم "تهدمت باب السور والشطانية بقت إلى جوارها غرفتان بطول ثمانية امتار تسمى الحضيرة تستخدم لخزن التمور مبنية بحجارة بابل ومسقفة بجذوع وسعف التخيل لها باب كبيرة من الخشب بمصراعتين فيها دعامة تزينها بمسامير حديدية طويلة يعطيها شكلا اكثر فخامة"[18]. استحضر هاشم صورة في مخيلته بعض الأبواب في القرية قريبة الشبة منها إلا أنها أصغر حجماً عليها مطرقة نحاسية على هيئة كف ،وقد تعلق في البيوت يسمى بالعهد العثماني (يد فاطمة) عند الشيعة وهي كف مريم لدى المسيحيين ويد الله (في اشارة الى آية موسى لفرعون) لدى اليهود وكف عشتار عند السومريين والأكاديين والكف هو رمز للحماية والمنع إلى المرأة ،في حين يُعتقد في الموروث الشعبي الإسلامي ،أنها كناية عن سورة الفلق (ذات الخمس آيات) في دفع الحسد"[19]، ومن الميزات التي كانت تمتاز بها القرية هو الطابع الحداثي في ذلك الزمن حيث امتازت أبواب الدور في القرية أنها مصنوعة من خشب ممتاز ومزينة تزينًا مواكب للتطور في ذلك الوقت أنها تمتلك مطرقة تعمل عمل الجرس في زمننا هذا يستخدمها القادم لزيارة هذا البيت بقصده أهل الدار يقوم بطرقها بمثابة منبه إن هناك شخص واقف ينتظر أن يخرج له احدٍ من أهل الدار، وأكمل الحاج حديثه: ويحتوي الباب مطرقتين صغيرة وكبيرة وعندما يطرق بالصغيرة يفهم أن الذي يطرق الباب أمرأه تذهب سيدة البيت تفتح الباب وعندما يطرق بالكبيرة يقهم أن على الباب رجل فيذهب رجل البيت يفتح الباب ويستقبل ضيفه . وقد تكون المطرقة على شكل هلال ،وهنالك أيضا طلسمان حدوة الحصان الذي يعلق على أبواب البيوت لمنع الشر والحسد فيعود أصلة لأسطورة القديس دونستان"[20]،وكان سكان القرية قد اتفقوا على شيء وهو كيفه استخدام هذه المطرقة وكان هناك ضوابط وقوانين في استخدامها فاذا استخدمت المطرقة الكبيرة سوف تصدر صوت يختلف عن المطرقة الصغيرة وهذا بدورة ينبه أهل الدار من الطارق وهل هو امرأة أو رجل فان كان رجل يقوم صاحب الدار بفتح الباب واستقباله لان كانت من العادات لا يمكن للمرأة أن تفتح الباب ألا للمرأة الطارقة زائرة كانت ام احدى الجيران.

كانت القرية تتخذ موقعًا جميلاً كانت تتوسط البساتين ولكن من المؤكد أنها الأن قد تغيرت بسبب التوسع السكاني" قديما على جاني القرية بساتين النخيل والجنائن التي تسقى بالنواعير الموجودة على الأنهر الصغيرة التي تدورها الحمير، تعود ملكيتها إلى كبار الأقطاع أمثال الجادرجي الذي كان قد بنى قصرا يزوره بين قترة وأخرى أو يدعو كبار الضيوف كما حدث أن قضى ليلته فيه والي بغداد–سرى باشا – (ومفتي الحلة) مصطفى الواعظ وعبد الرحمن النقيب بعد افتتاح سدة الهندية (شودزفير) 1890م"[21].

كانت القرية بسبب موقعها الجغرافي وطبيعتها الخلابة حيث تقع على طريق حلة بغداد القديم كانت تستقبل الكثير من الضيوف واهل السبيل والقرية معروفة بكرم أبناءها واستقبالهم للضيوف لذلك كانت محط أنظار الكثير من الشخصيات الكبيرة .

ومرة اخرى اكد الكاتب على الطبيعة الجميلة للقرية في قوله: "تحاط القرية من اليسار بساتين الرهيمية ومن اليمين بساتين (المؤمنين)حيث بساتين النخيل والعنب والرمان والأجاص وخضار، أكثر غلاتهم يحملونها بعربات تجرها حمير او خيول ،يبيعونها في سوق المدينة يشكل لهم موردا مع ما يحصلون عليه من مواشيهم من حليب وجبن وجلود"[22]. وهنا أراد الكاتب بتوثيقه لأسماء البساتين التي تحيط بالقرية دلاله على انها كانت حقيقية وليس بضرب من خيال الكاتب حيث وهنا ينقل لنا الصورة بكل أمانة وكانه هو الراوي الذي شاهدها وكشف لنا مفاتنها وهذا ما نجده في سطور الرواية جميعها

"سلك هاشم الطريق الترابي باتجاه ضريح (عمران) متأملا كما يسلك العارفين مرورا بساحة كرة القدم المحاطة بين التلال أشبه بمقصورات المتفرجين في البطولات الرياضية التي تنظمها اتحادات الشباب . يلتقي الرياضيون عصر كل يوم لمزاولة التمارين ،الساحة فارغة حيث اقام الفريق حدادا على المرحوم (قتيبة) حارس المرمى الذي توفى على أثر سكتة قلبية"[23]. كان الكاتب كان يرى ما يراه (هاشم) فاتخذ من هاشم راوي يروي لنا التفاصيل عن المسالك والطرق التي تحيط بالقرية، وأشار إلى الضريح (عمران بن علي بن ابي طالب) الذي يقع على مقربة من القرية وكانه يقول القرية تمتلك جميع مقومات العيش حتى باحتوائها احد الأضرحة المقدسة عند الشيعة في كاملة من كل شيء حتى ملعب للكرة التي كانت تسمى بالساحة والتي انطلق منها الكثير من الرياضيين من أبناء القرية لميثلون المحافظة في ذلك الوقت وحتى وقتنا الحالي هذه دلالة على الحياة الاجتماعية متقدمة ومتطورة

اقترب من بستان الحاج محمود التي تبعد عن القرية حوالي فرسخين مجتازاَ مقبرة الأطفال ، كان المكان هادئاَ تماماَ إلا من صوت خشخشة سعف النخيل المكتظة هيمن على وجدانه ،أعاده إلى الماضي البعيد إلى طفولته. استذكر حكايات جدته نجية ...حين كنا صغاراَ نلتف حولها وهي تذكي النار في الصفيحة النحاسية تحكي لنا عن هذه المقبرة من يمر من خلال هذا المكان عليه أن يتوخى الحذر من رمي الحجارة والعظام من الجن الذي يسكن المقبرة"[24]، وكان الكاتب يقول ما الذي تملكه المناطق ونحن لا نملكه في القرية فكل شيء موجود من طبيعة جميلة وأشياء فنتازيا وقصص الجن في بستان الحاج محمود وحتى إن للقرية مقبرة خاصة بها فكل شيء متوفر البيوت والبساتين والأنهار والأضرحة وساحات الرياضة والمقبرة . ثم يرجع للوصف البساتين والحمام والعصافير التي تسكن هذه البساتين ويأخذنا إلى جمال خلاب يأسر القلوب وهو منظر الغروب على نهر الحلة التي تغفو على جانبه القرية ، "ثمة جلبة من الحمام تطير من تلك البساتين أفزعته ،حاول اجتياز الغابة بسرعة ارتقى التل حذاء النهر ، كان المنظر جميلاَ جداَ حيث نهر (الحلة) الملتوي وهو يشق غابات النخيل شمس المغيب وحمرتها القانية تترك أذيالها على شواطئ النهر ، تنفس ملء رئتيه ، مرات متلاحقة ملأها بشذا الأرض المعطر ،ثم قارب للشرطة النهرية يسير عكس التيار من الجهة المقابلة يحدث دوائر تتسع باتجاه ضفة النهر حيث يجلس (كاظم غلوة) القرفصاء بيديه سنارة صيد يلعن صاحب القارب، اخرج سنارته عارية من الطعم، أصابه الملل ،طوى خيطه، وهو يدندن"[25]، واصل السير باتجاه القرية من الجهة الثانية بالقرب من نهر صغير يسمى ب(النهر الصافي) أو نهر العشاق ساقية كبيرة تفرعت من شط الحلة عند دخول الماء فيه وبعد مسافة يصبح صافياَ لكثرة ما ينبت على ضفافه نباتات من الدغل والحشائش وعلى ضفته شجرة التوت الكبيرة بظلها الوارف بعيدة عن بستان النخيل ... تلك الشجرة كأنها مطرودة يلجأ إليها بعض الشباب للعب الورق أو تناول الكحول الرخيص (العرق) بعد ان فرغ من وصف وقت الغروب الجميل وكيف اتخذ من (كاظم غلوة) في كشف عن احدى المهن التي يعمل بها ابناء القرية وهي صيد الأسماك عن طريق الخيط وعن طريق القارب ورمي الشباك وهذا هو مصدر رزق للقرية حيث يمتهن بعض اهل القرية الصيد وبيعه ليعود بدخل مادي لهم .

ومن جديد يؤكد الكاتب على الطبيعة الخلابة التي تمتاز بها القرية فهنا يصف خط من النخيل "توقف هاشم بالقرب من الصف المتوازي للنخيل الشامخة"[26]؛ فجمال النخيل عندما يزرع بخطوط متوازية ضمن قياسات معروفة عند الفلاحيين وهذا النوع من الزراعة له عدد كبير من الفوائد منها

الجمالية ومنها أن المساحات التي تحث النخيل تستغل لزراعة بعض المحاصيل مثل الشعير التي كان يباع وعده مصدر للمال. واستخدم الشموخ الذي هو صفه ملازمة للنخلة العراقية التي تدل على الأصالة والكبرياء فهذا صف النحيل الأصيل الشامخ المتحد بتوازيه كانه أبناء القرية ولحمتهم وشموخهم . وهناك مكان آخر في القرية لا يقل أهمية عن الأماكن الطبيعية وهو البحيرة "تترك الشمس ظلالها على ضفاف البحيرة فتعكس خضرتها مع زرقة السماء وتموج المياه ، لوحة ربانية رائعة ، ثمة بيتان متجاوران سقوفهما بشكل محدب وكأنه شيد على الطريقة اليابانية ، يفصلهما جسر مشاة ، متخذا شكلا هندسياً مقوساً وله مكان زورق صغير أن يمر من تحته ، بعيداً عن ضوضاء المدينة"[27]؛ كانت البحيرة تملك الجانب الهادئ البعيد عن القرية وعن المدينة لمياهها الساكنة والهادئة ومن اجملها البيتان المتجاوران يفصل بينهما جسر للمشاة وكأنها احد البيوت اليابانية فذها ما كشفت عنه الرواية من طبيعة تمتلكها قرية صغيرة فكيف هي باقي مناطق وطننا الحبيب

الخاتمة:

بعد القراءة النقدية المستفيضة لرواية (الجمجمة لم تكن رأسًا فارغًا) والتي سلطنا الضوء على البيئة الطبيعية والاجتماعية توصلنا إلى بعض النتائج

- اهتم الكاتب طالب عمران المعموري بالجانب البيئي اهتمامًا كبيرًا
- امتلكت قرية الجمجمة التي جاءت في العنوان الكثير من البيئات الطبيعية من بساتين وانهر صغيرة ونهر الحلة الذي يمر بجانبها وعدد من البساتين وبحيرة هادئة
- امتازت البيئة الاجتماعية بتماسكها وامتلاكها مقومات كثيرة عكست اللحمة الاجتماعية للنسيج الاجتماعي العراقي .
- تسليط الضوء على المناطق الجغرافية ذات الطابع الريفي الجميل .

المصادر والمراجع :

[1] – محمد يوسف نجم. (1955). *فن القصة*. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.
ص89
[2] – محمد يوسف نجم ، المصدر نفسهص532
[3] محمد غنيمي هلال. (1997). *النقد الادبي الحديث* . مصر : دار نهضة مصر للطباعة والنشر ص524
[4] – محمد غنيمي هلال ، المصدر نفسه ،ص22
[5] – فائق مصطفى. (1989). *في النقد الادبي الحديث* (المجلد ط1). الموصل: مديرية دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل.ص523
[6] – محمد غنيمي هلال. (1997). *النقد الادبي الحديث* . مصر : دار نهضة مصر للطباعة والنشر ص522
[7] – فائق مصطفى. (1989). *في النقد الادبي الحديث* (المجلد ط1). الموصل: مديرية دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل.
ص90
[8] – طالب عمران المعموري. (2020). *رواية الجمجمة لم تكن رأسا فارغا* (المجلد 1). مصر: ديوان العرب للنشر والتوزيع.
ص10
[9] – الرواية ،ص10
[10] – الرواية ص11
[11] – الرواية ص11
[12] – الرواية ص20
[13] – الرواية ص 26
[14] – الرواية ص26
[15] – الرواية ص31–32
[16] – الرواية ص11
[17] – الرواية ص13
[18] – الرواية ص15
[19] – الرواية ص16
[20] – الرواية ص 18
[21] – الرواية ص23
[22] – الرواية،ص26
[23] – الرواية ص27
[24] – الرواية ص28
[25] – الرواية ص28
[26] – الرواية ص 30
[27] – الرواية ص78